المقتبس

غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

جونسون

ولد سنة ١٧٠٩ وتوفي سنة ١٧٨٤

أحد مشاهير كتاب الانكليز وعلماء الاخلاق قاسى في طفوليته أنواع العذاب من سوء صحته وأصيب بالسويداء. ولد من أبوين فقيرين فتهيأله رجل محسن علمه على نفقته في كلية اكسفورد لكن بشاعة صورته وفقره وسويداءه جلبت الشكوى منه فاضطر أن يترك دروسه قبل اتمامها وعاش زمناً في مكتبة والده وكان كتبياً ثم عين في إحدى المدارس الخاصة بوظيفة بسيطة وسنة ١٧٣٥ تزوج أيماً أكبر منه بعشرين سنة وكان يحبها على بشاعتها حباً لا يصدق . ففتح له معها مدرسة للشبان في ضواحي لينسفيلد بلده لكن قبح صورته وصورة زوجه كانت تخيف الاطفال ووالديهم فلا يضعون أبناءهم في تلك المدرسة حتى انه لم يكن عندهما غير ثلاثة أولاد فاضطر

الى ترك التعليم وجاء لندن يفتش على ما يقوم بأوده فاستخدم في إدارة احدى المجلات الانكليزية فكان يأتيها بأخبار مناقشات دار الندوة وفي غضون ذلك نشر تأليفاً له فنيه به قدره وشاع بين الكتاب والقراء ذكره والف معجماً في ثماني سنين وهو أول معجم بالانكليزية وكان في خلال تأليفه وضع بعض المصنفات فحازت استحسان بيرون وسكوت العالمين الكاتبين المشهورين وتأفقت شهرته بهذا المعجم كل التأفق على انه لم يكن من قبل خاملا بل صار بما صنف الكاتب غير مدافع ، وحاول أن ينشيء مجلة الا أنه لم يفلح فيها فسقطت ثم أنشأ أخرى فسقطت . وكان ينفق على الصدقات كل مايحصله من المال القليل تقريباً حتى انه آوى اليه ثلاث نساء عاجزات بعد وفاة والدته مع طبيب يطبهن

وفي سنة ١٦٧٢ منحته الحكومة ثلثمائة جنيه مساناة ابيضت بهاليليه السود واستعان بها على شقاء الايام ولم يقبلهاالا بعدالتردد وكافأ الحكومة عليها من باب مقابلة الجميل بمثله بأن كتب بضع كراريس في السياسة خدمها بها ولم يقل الا مايتطبق على آرائه فيهاوكان أكبرهمه تأسيس أندية (كلوب) تجمع كبار الرجال من ممثل الى مؤرخ الى خطيب الى اقتصادي الى مبشر وكان الملك يتطلب سماع حديثه وكذلك كانت طبقة الاشراف في الامة الانكليزية

وفي خلال تلك المدة تعرف الى رجل من الاغنياء فاعجب به كل الاعجاب واكرم مثواه وأحله منه المكان الذي ينبغي ان يحله أمثاله وقام له في داره في لندن بل في مصايفه في ضاحيتها بوسائط العيش ورفاهية الحياة وكانت تلك الاعوام هي غاية سعادته ومجده وما زال على تلك الحال يكتب

وينشر ويشتهر أمره حتى توفي صديقه بل حاميه بعد ست سنين من صحبة أتته بفوائد جزيلة أقلها انه استطاع ان يتجول في البلاد على نفقته فتأخرت صحته لهذا الخطب الجلل وكان ذلك سنة ١٧٨١

ولما فقد الكاتب حاميه عاد الى ميله السابق من تأسيس الاندية فأسس له ناديين كانا أشبه بنادي المهوسين السوداويين . ودفن في مقبرة وستمنستر مدفن العظماء من الانكليز وأقيم له تمثال

وقد وصف تين العالم الفرنسوي صاحب الترجمة فما قاله فيه بعد أن ذكر قبح صورته وإهمال هندامه وسوء نظامه انه كان شرهاً اكولا يجلس الى المائدة فيخضم ويقضم ولا يستمع لحديث يخاطبه بل يستغرق بما بين يديه من الصحاف والالوان حتى لقد كانت تنتفخ عروق جبهته وتتصبب عرقاً لكثرة إدخال الطعام بسرعة على سدته وبعد ان يستوفي طعامه على هذا النحو حتى يكاد يختنق يأخذ في تعاطي الشاي فيتناول لا أقل من اثني عشر قدحاً . قال الذي عربنا عنه هذا الفصل : وأنت ترى انه من العجيب فيمن كانت له هذه الاخلاق والعادات كيف كان تمثال مجتمع بأسره مجتمع كان من اللطف على جانب هذا اذا لم يعلم أن صاحبنا كان ذا صفات نادرة فقد كان بين جنبيه على تلك الخشونة في الطباع قلب مليء فضلا ولطفاً وحناناً على الضعاف والاولاد والفقراء والحيوانات وكان أصحابه وهم كثار يحبونه حباً مازج سويداء قلوبهم ولم تكن خشونته لتحول دون ملاطفة النساء بل كان معهن آية الظرف واللطف يتأدب معهن ويسليهن بأطيب ما في العالم من حديث شهي

الا وان ما اختلط باجزاء نفس هذا الرجل من قول الحق والتفاني فيه

وحياته الشريفة التي تمناها واعجابه باستقلال أخلاقه وتربيتها كل هذا كان له مادة اعتبار لادبه واعجاب بقدرته النقلية وكان اسمًا مفروغًا ولم يبق في أرق طبقات الكتاب ولا في أرق المفكرين وكان انشاؤه مستقلا نظمًا حتى قال له أحدهم يومًا : انك ياصاح لو انشأت حكاية أسماك صغيرة لجعلتها تتكلم كلام الحيتان . وبالجملة فلم يكن من الخوارق والنوابغ في علمه وأدبه بل كان من الخوارق في أخلاقه ولذلك يعد في الاخلاقيين أكثر منه في الكاتبين

مجلة المقتطف

قلما قام في هذه البلاد عمل مادي أو علمي أو غير ذلك أعوامًا طويلة الا وأصابه من خور عزيمة أربابه وتشتت أهوائهم أو قلة بضاعتهم ومناصبة الاحوال لهم ماتتداعى به أركانه وينحل كيانه . قال بعض العلماء أن حياة الانسان ثلاثون سنة أي انه يندر ان يعمل عملا نافعًا طول حياته أكثر من هذه المدة أو مايقرب منها وبعد ذلك إما ان يضعف أو يعوقه عائق . بيد ان مجلة المقتطف بلغت هذا السن في هذه الآونة والهمة في تحسينها تتجدد والفائدة الناتجة منها تعظم

قلَّ في المشاريع ولا سيما العلمية منها ماسار به صاحبه على سنة الارتقاء الطبيعي ولذلك قلَّ في أربابها المفلحون . أما صاحبا المقتطف فعملا أولا تحت نظارة أستاذ لهما عظيم الدكتور كرنيليوس فانديك الاميركاني ولم يخرجا عن حد الخطة التي رسمها لهما فكانت صفحاتها بادئ بدء قليلة وكتاباتها لا تخلو من ضعف وموضوعاتها بسيطة تتناولها أذهان الصبيان لادنى نظر